

السكان كالجندري والطاعون . فاذا دامت الحال على هذا النوال فلا يبعد ان يتضاعف عدد السكان بعد خمس وعشرين سنة أخرى لانه لا يلزم لذلك الا ان تكون الزيادة السنوية اثنين ونصف الى اثنين وستة اعشار في المائة . واذا تم ذلك والسودان تابعة لمصر وزاد سكان مصر حتى بلغوا عشرين مليوناً فقط تألف من مصر والسودان مملكة كبيرة فيها ٣٢ مليوناً من النفوس . اما التطور المصري فلا يسع عشرين مليوناً ويموتهم واما السودان فيسع اضعاف ذلك . واذا تم ريّ الجزيرة ووزع القطن فيها وجد سكانه باباً واسماً للرزق . لكن قلما يحتمل ان يهاجر الناس من مصر الى السودان ويتحملوا حرّة الشديداً واسامهم بلاد الشام وساحل افريقية من مربوط الى آخر مراکش وكأها بلاد طيبة قليلة السكان

## فتح الاندلس

(٤)

ورحل عن قرطبة عظماء اهلها الى طليطلة وبقي فيها اميرها مع اربعمائة فارس من حماها فكمن مغيث حين وصل اليها بعدوة شهر شقنده في غيبه فلما هجم الليل اقبل نحو المدينة بمجندهم وكانوا سبعمائة فارس وارسلت السماء برذاً اخفى دققة حوافر الخيل فكتم ذلك من عبور نهر قرطبة ايلالاً وقد غفل حرس السور فارتقاه بعض من جنده مغيث وقتلوهم فدخلوا المدينة وملكوها عنوة . فيادر حاكمها الى الفرار في اسيابيه وخرج الى كنيسة بنربي المدينة ونحمن بها فاقام مغيث على محاصرتها ثلاثة اشهر الى ان عرف موضع الماء الذي ينتابونه فامر اهل المعرفة بطليبه فقطمروه فايقتوا بالهلاك فدعاهم مغيث الى الجزيرة وهي قليلة او الاسلام<sup>(١)</sup> على ان يقبل في سلك الجندية كل من يعتنقه منهم مع اعطائه حصته من الغنائم قابوا عليه شروطه<sup>(٢)</sup> ولذا اوقد عليهم النار فاحرقهم وسميت كنيسة القديس جورج التي ثبثوا بها كنيسة الطرقي<sup>(٣)</sup> . وقد جمع مغيث يهود قرطبة الى اهل مدينتها وجعل لهم السلطة النافذة ثقتهم بهم

(١) فتح للطيب الجزء الاول صفحة ١٢٣ (٢) Coppé الجزء الاول صفحة ٢٨٩

(٣) فتح للطيب الجزء الاول صفحة ١٢٣ جزء اول صفحة ٢٩٢

وأما من وجهه الى مائقه ففتحوها ثم لحقوا بالجيش التوجه الى غرناطة فلم يلاقوا مقاومة في فتحها لان سكانها كان اكثرهم من اليهود وقد استقبلوا جيش المسلمين استقبالا حسنا وكثيرة عددهم فيها دعيت غرناطة اليهود<sup>(٤)</sup>

وبعد ان فتح زيد غرناطة ذهب عن طريق جازين ليلتحق بطارق . ومن المهم ان نذكر ان المسلمين كانوا يضمون اليهود مع قطعة من المسلمين الى القسبة التي يفتحونها لحفظها واذا لم يجدوا يهودا وفروا عدد المسلمين لحفظ ما فتح وصار لهم ذلك سنة في كل بلد يفتحونه<sup>(٥)</sup>

وقد اتم طارق سيره الى طليطلة محاذيا الوادي الكبير وقد اختارها القوطيون عاصمة لهم لتوسطها البلاد ومنعها وهي مبنية على تلال سبيع وتطل على نهر التاج وقد كان من المنتظر ان يتاجز الاسبانيول العرب في طليطلة بعد انخذلهم في وادي لكه اذ انها مجمع قوامم ولكن عظماءهم كان قد اسقط في ايديهم وعثم الخوف وللك لم يفكروا الا بالحرب فاعتصموا بالجبال

ولما اتى طارق الفاعا خالية لكنه اشترط على من بقي منهم تسليم السلاح واخذوا واذن لمن ود الرحيل عن المدينة بالمهاجرة على ان لا يأخذ من امتعتهم شيئا اما من عزم منهم على البقاء فقد حفظت له املكه وحرته الدينية ودفع الجزية وقد طلب منهم ان لا يشيدوا كنائس جديدة دون استشارتهم ولم يسمح لهم بالمظاهرات الدينية اذ ربما انحوت على دسائس سياسية . اما نظاماتهم البلدية والقضائية فقد ابقيت كما هي<sup>(٦)</sup>

ولما . موسى بن نصير ما صنع طارق بن زياد وما اتيح له من الفتح شيا للمسير الى اندلس وكان ذلك بعد ان مكث قوامه في موريتانيا ومهد طرق المواصلات بين مصر وسوريا وجمع جيشا قويا للزحف به وكان دخول موسى الى سبانيا في مارس ( ابريل ) من سنة ٧١٢ ( رمضان سنة ٩٣ ) اي بعد مرور سنة من قدوم طارق الى الجبل التي دعي باسمه . اما جيشه فكان يتألف

(٤) Goppé جزء اول صفحة ٢٩٤ . (٥) فتح الطيب الجزء الاول صفحة ١٢٢

(٦) History of the Dominion of the Arabs in Spain by Cordé الجزء الاول

صفحة ٦٤ Goppé الجزء الاول صفحة ٢٩٨

من عشرة آلاف من الفرسان وثمانية آلاف من المشاة وقد نزل بالجزيرة الخضراء  
والحق يقال ان موسى بقدمه لم يفتح البلاد اذ ان طارقاً كان قد بسط نفوذه  
عليها بل أكثر من الحامية ولذا نراه يقدم الى البلاد التي احتلها طارق قبله الا  
انه كان له الفضل في اخضاع اسبانيا الغربية والبرتغال

وبعد ان احتل الجزيرة الخضراء سار الى شدوته وشرش وقرمونه ومعنى  
بمدها الى اشبيلية فحاصرها وهي اعظم مدائن الاندلس شأنًا واهمها ببناءً وأكثرها  
آثارًا وكانت العاصمة قبل ان دخل القوطيون اسبانيا الا انها ظلت مركز  
الرؤساء الرومانيين لحفظت بذلك لها الكرامة الدينية . ومما فاقته على غيرها من  
نواحي الاندلس زراعة القطن فانه يعمل منها الى جميع البلاد الاسبانية والمغرب  
وهي على شاطئ نهر عظيم تسير فيه المراكب المثقلة يقال له الوادي الكبير (٧)  
قامت شهرًا عليه ثم فتحها وأكثر فيها من اليهود

وبعد ان وطد النفوذ العربي في البلاد الغالبة مما فتحة طارق سار الى  
اسبانيا الغربية والبرتغال وكان في زحفه على هذه الجهات يعتمد على فرسانه  
وقد احتل دون سموية Myrtiles و Assonoba و Sible و Beza (٨) الى ان  
انتهى الى ماردة وكان اهلها قد صمموا على الاستماتة في دفاعهم ولم يلاق العرب  
بمد سقوط قرطبة دفاعاً مجيداً كدفاعها . وقد بنى ماردة اغسطس وفيها كثير من  
الآثار الرومانية منها قوس تراجان الذي دُعي بعد ذلك قوس سانت ياغو (يقوب)  
وهيكلا مارس وديانا وملعب ماكسيمس والجسر الجميل البالغ من الطول نحو اثنى  
و ٢٥٠٠ قدم المبني على ٨١ قنطرة وكانت تلقب برومية (٩) اسبانيا لها حصون  
منيمة وابراج عديدة واهلها ذو مشمة وبأس شديد هاجمهم المسلمون مراراً الى ان  
اذعنوا . وذلك ان الجيش العربي المهاجم اظهر لهم هزيمة فلتحقوا به وكان الكمين  
العربي مترقباً لهم فاطبق عليهم وارتهل الجيش الذي اظهر الحرب وقتك بهم فتكأ  
دريماً . ومما جعلهم ان يخضعوا الامداد التي قدمت موسى وعلى رأسها ابنة عبد  
المزيز والجوع الذي بدأ يفتك بهم . وقد اشترط عليهم موسى تسليم السلاح

(٧) راجع اشبيلية من كتاب معجم البلدان لابن عبد الله بن عباد بن عباد الحميري الرومي

(٨) راجع خريطة اسبانيا (٩) Coppé الجزء الاول صفحة ٣١١

والغلول وامتلاك اموال الخزينة العمومية والكنيسة والقتلى يوم الكمين والمهاجرين الى غسقونيا . وامر ان يحول نصف عدد الكنائس الى مساجد

وكان اشهر من أسرى في هذه المدينة الملكة Exilona (١٠) ارملة رودريك « لدرىق » وهي سيدة مغربية اسمها الحقيقي الياثا Elyata تزوجت فيما بعد عبد العزيز بن موسى امير الاندلس ويدعوها العرب « ام عاصم » اما سقوط المدينة فكان في ١٠ تموز ( يوليو ) سنة ٧١٢

وبينا كان موسى يتقدم الى الامام ثارت اشيلية وقتلت بعضاً من جنود العرب فانتص منها عبد العزيز وشدد التكبير عليها وبذلك حفظت مؤخره موسى من القلاقل ومن عة سار الى طليطلة فاستقبله طارق في وجوه الناس الا ان موسى وبخه وعزله لعدم اطاعته اوامره . ولم تكن نتائج السياسة التي سار عليها طارق مما تحمد عقباؤه اذ جعل بين العرب والبربر فراغاً واختلافات تحت بمكروب السيادة المتكمن من العرب اصحاب الدولة . ولكن الخليفة امره بان يطلق سراحه اذ لا يجوز في عرفه ان يصفى سيف من سيوف الاسلام !

ولذا اظهر الرضا عنه واقراءه على مقدمته وامره بالتقدم امامه في جيوشه فارتنى جبال Molina زاحفاً الى سرقسطه وهي من اعظم مدن الشمال الشرقي من اسبانيا وقد اخذ اسمها من اوشطس قيصر الذي شيدها وهي مبنية على ضفاف الابر و تشعب منها طرق المواسلات الكثيرة . وبينما كان طارق يحاصرها احتل موسى سلامتكا واستوركا "Astorga" وقد اتاها بعد ذلك منجداً طارقاً في حصاره فافتتحها وامر موسى على طلب جزيرة كبيرة دناها الاسبان جزيرة الدم وبعد ان خضدا شوكتها تفرقت جيوشها فاحتل موسى المقاطعة الواقعة بين الابر والبيرنيه وتدعى كتلونيا Catalonia (١١) وبذلك تم له التسلط على لريده Lérida وبرشلونه Barcelona و Gerona و Huesca

اما طارق فاحتل طرطوشه "Tartosa" على الشاطئ الايسر من الابر وبلنسية Valancia وشاطبه Xativa و Denia وقد اوغلا في البلاد ولم يبرأ

(١٠) Coppé جزء اول سنة ١٦٠ راجع Coppé ايضاً الجزء الاول سنة ٢١٧

(١١) راجع خريطة اسبانيا

على موضع الأ فتح عليها وكان موسى يوثق للناس ما عاهدهم عليه طارق وكان يود لو يقتحم اوره عن طريق الارض الكبيرة ( فرنسا ) حتى يتصل بالناس الى الشام لكن الخليفة امر برجوعه فحال دون ذلك الامل (١٢)

وقد استخلف موسى ابنه عبد العزيز على امانة الاندلس واقرباء مدينة اشبيلية وركب البحر وطلوب معه (في ذي الحجة سنة ٩٥ اغسطس سنة ٧١٣) وكان معه من السبي ما يقارب الثلاثين الف رأس (١٣) والمائة المشهورة (١٤) التي كان يحمل فوقها مصاحف الاناجيل اذا ابرزت في ايام المناسك وهي مصنوعة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد وقد اصابها الفتحون بطليطلة وكان يظن ان لها قوة معنوية كتابوت العهد عند اليهود

وضبط عبد العزيز الاندلس بعد قفول ابيه وسد ثغورها واتم فتحها. وذلك انه سار الى مرسية Murcia الخصب الجميلة وكان يدعوها العرب تدمير نسبة الى القائد الذي وقف مدافعا عن البلاد حين نزولها وكان قد اشترك في معركة Guadalete الا انه هرب حين رأى ان لا مناص لقومه من الخذلان وقد تاوا جند المسلمين لكن العزيمة استمرت عليه في لورقا Lorca وغيرها من المدن. وكان تدمير هذا في قليل من اصحابه لا يقنون شيئا فامر النساء بنشر الشمود والظهور على الاسوار في مدينة اريوة Orihuela قصبتها مشبهات بالرجال وتصدر قدامهن باسحابه يغالظ المسلمين في قوته فتعبروا لراسه وهرضوا عليه الصلح فظهر الميل اليه واخذهم بالوقاء بعهده وادخلهم المدينة وسلت المقاطعة كلها من ويلات الحرب ومعرة الفتحين وصارت كلها صلحا ليس فيها عنوة (١٥)

انيس ذكرها التصولي

(١٢) فتح الطيب الجزء الاول صفحة ١٣٠ ابن خلدون الجزء الرابع صفحة ١١٧ - ١١٨

Lo Bon جزء اول صفحة ٢٧٢ - ٢٧٤

(١٣) ابن خلدون الجزء الرابع صفحة ١١٨

(١٤) فتح الطيب الجزء الاول صفحة ١٢٧

(١٥) فتح الطيب الجزء الاول صفحة ١٢٤